مجلة المعيار ISSN :2588-2384

المجلّد 23 عدد: 45 السنة: 2019

النقد النحوي لشعر الفرزدق

الفرزدق على سفود ابن أبي إسحاق

د.أحمد كامش

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة

kamecheahmed86@gmail.com

تاريخ الوصول: 2018/05/07 / القبول:2018/03/09/ النشر على الخط:2019/01/05

Received: ……/ Accepted: …… / Published online: ……

الملخص:

الفرزدق من الشعراء الذين جعلوا من شرف نسبهم سلّما ارتقوا به، وتطاولوا على أقرانهم من الشعراء، وأهّلته شاعريّته لأن يكون من الشّعراء العباقرة الذين أبدعوا شعرا، ذاع في الآفاق، فكان عبقا أثلج النفوس وحفظ اللغة من الضّياع.

كان اقتداره وتميّزه، من جهة، وشرف نسبه من جهة ثانيّة من أسباب تطاوله على أقرانه، لكن سوء طالعه ساق في طريقه علما من أعلام الفكر واللغة والنّقد، على أيّامه، علم كان معدودا في زمرة علماء العربيّة الذين يحتكم إليهم في المشكلات؛ إنّه عبد الله بن أبي إسحاق الذي رمى الفرزدق وشعره بسهام قاتلة، قصمت ظهر الشّاعر وحدّت من غروره وتطاوله على غيره.

من هنا جاء عنوان هذا البحث والموسوم بـ " النقد النحوي أو الفرزدق على سفّود[1] ابن أبي إسحاق " وفيه رصد لبعض القضايا النقديّة اللّغويّة وجّهها ابن أبي إسحاق للشاعر وشعره، في وقت امتنع كثيرون عن مواجهته بها اتّقاء لشرّه وخوفا من لسانه.

الكلمات المفتاحيّة: النقد النحوي . الفرزدق . ابن أبي إسحاق . نقد الشعر.

The grammatical critique of El Farazdaq Poetry

ABSTRACT

EL FARAZDAQ is one of the great poets who led a major glory comparing to those of his generation His poetic spirit qualified him to be the genius of the poets as he preserved the arabic language from disapperance

His competency excelency from one hand and the honor of his family from the other hand were the main causes that made him one of the best poets of his time Despit of that he was not honored with in the frame work of the language as there was agreat linguist named ABDOU ALLAH IBN ABI ISHAQ who criticised his linguistic competence For and aiming to enrich it the theme of this article was created as ELFARAZDAQ ON THE SKEWER / BROCHETTE OF IBN ABI ISHAQ

[1] جاء في اللسان: " السَّفّود والسُّفود، بالتّشديد: حديدة ذات شعب معقّفة، معروف يشوى به اللحم، وجمعه سفافيد." ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، جمال الدّين أبو الفضل. لسان العرب. تحقيق جماعة من العلماء منهم عبد الله علي الكبير. دار المعارف. 03 / 2024. مادة سفد.

Keywords: Grammar Criticism -Farazadq - Ibn Abi Ishaq - Poetry Criticism.

مقدّمة

عرف العرب للشعر قيمته ومنزلته منذ القديم، فاهتمّوا بفنونه، واعتنوا بأساليبه عناية فاقوا بها غيرهم من الأمم، حتّى بلغوا فيه الغاية التي لا تدرك، ساعدهم في ذلك ثراء لغتهم وصفاء قريحتهم، وجعلوه رسولا يقدّمونه بين أيديهم في مسائلهم وعند وفادتهم على الحكّام، قال عمر بن الخطّاب ﷺ: " نِعْمَ الهديّة للرّجل الشّريف الأبيات يقدّمها بين يدي الحاجة يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللّئيم."[1] وقال أبو تمّام:[2]

وَلَوْلاَ خِلاَلٌ سَنَّهَا الشِّعْرُ مَا دَرَتْ بُغَاةُ العُلاَ مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى المَكَارِمُ

ونظم الشّعر الجيّد غير متاح لجميع الخلق، بل هو ملكة يُؤْتاها الشّاعر المقتدر، لذلك قد يقوله من ليس له معرفة بنقده، ويميّزه من لا يقوله. قيل لابن المقفع: لم لا تقول الشّعر مع علمك به ؟ فقال: أنا كالمِسَنِّ، أشحذ ولا أقطع.[3] وقيل للمفضّل الضبّي: " لم لا تقول الشعر وأنت أعلم النّاس به ؟ فقال: علمي به هو الذي يمنعني من قوله."[4]

ويأخذ الشعر الجيّد قيمته من تقويم النّقد له، قال أبو بكر محمد بن يحي: " نقد الشعر وترتيب الكلام، ووضعه مواضعه، وحسن الأخذ، والاستعارة، ونفي المستكره والجاسي[5] صنعة برأسها، ولا تراه إلاّ لمن صحَت طباعهم، واتّقدت قرائحهم، وتنبّهت فطنهم، وراضوا الكلام، ورووا وميّزوا."[6]

لذلك كان تتبّع العلماء، وخاصّة علماء اللغة، لأخطاء الشّعراء وسقطاتهم ظاهرة نقديّة قديمة تمتدّ جذورها إلى القرن الأوّل، إذ وضعوا منهجا محكما مبنيّا على أسس ثابتة، وتركوا لنا، بتتبّعهم لتلك الأخطاء والسّقطات، تراثا ثريّا تعاقبت على بنائه أجيال من علماء اللغة والنّحو والبلاغة والنقد، وسعوا من خلاله إلى حفظ اللّغة من التّحريف، والفرزدق على جلالة قدره، وعلوّ مكانته، وبعد شأوه لم يسلم وشعره من نقد عبد الله بن أبي إسحاق[7] وكانت تلك الأحكام أشدّ عليه من السّهام لأنّها أصابته

---

1 الراغب الاصفهاني: حسين بن محمد، أبو محمد. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت. 01 / 80.

2 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3 نفسه، الصفحة نفسها.

4 ابن رشيق: الحسن، أبو علي. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل. بيروت. د ت. ص 117.

5 قال أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: " قال اللّيث: جسأ الشّيء يجسأ جسوؤا، وهو جاسئ، إذا كانت فيه صلابة وخشونة، وجبل جاسئ، وأرض جاسئة، ودابّة جاسئة القوائم. قلت: وترك الهمز في جميع ذلك جائز." انظر تهذيب اللغة. تح عبد السلام هارون. المؤسسة المصرية العامة للتّأليف والأنباء والشر. 11 / 138.

6 العسكري: الحسن بن عبد الله، أبو أحمد. المصون في الأدب. تحقيق عبد السلام هارون. مطبعة حكومة الكويت. ط 02. 1984. ص 05.

7 أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، كان ملمّا بالعربية والقراءة إماما فيهما. توفي عام 117 هـ. له ترجمة في أغلب كتب التراجم ومنها: السيرافي، أخبار النحويين 42. البغدادي، خزانة الأدب 01 / 237. الزبيدي، طبقات النحويين ص 31. أبو الطيّب اللغوي، مراتب النحويين 12. ابن الأنباري، نزهة الألباء 26. القفطي، إنباه الرواة 02 / 104.

إصابات قاتلة. قال أحمد أمين عن حركة النقد في هذه الفترة: " وفي آخر العصر الأموي ظهر النّحو وجدّ بعض علمائه في وضع قواعده، وكان ممّا يهمّنا هنا أنّ علماءه بدءوا ينتقدون الشّعر على نمطهم وأسلوبهم، بدءوا نوعا جديدا من النّقد هو أنّ الشّاعر أخطأ نحويّا، ولم يجر في شعره على منحى العرب في الإعراب."[1] فما الإضافة التي أضافها ابن أبي إسحاق بهذا الضّرب من النقد إلى الشعر ؟ وهل تمكّن الفرزدق من ترهيبه ؟ وما موقف الدّارسين من هذا الصّراع الذي احتدم بين الرجلين ؟

مع ابن أبي إسحاق والفرزدق

كان عبد الله بن أبي إسحاق لغويّا ونحويّا كبيرا، شهد له بعلوّ المنزلة كثير من معاصريه كعيسى بن عمر[2] وأبي عمرو بن العلاء.[3] قال محمد بن سلاّم الجمحي:[4] " سمعت يونس يسأل عن ابن أبي إسحاق، فقال: هو والنّحو سواء، أي هو الغاية."[5]

وكان عالما ناقدا ومقدّما مشهورا،[6] وإن كان النّقد يومها لم يستقلّ عن بقيّة الفنون، وهو معدود في زمرة علماء العربيّة الذين يحتكم إليهم في المشكلات. ذكر أبو عبيدة[7] أنّ يونس النّحوي[8] سُئِل عن جرير والفرزدق والأخطل أيّهم أشعر فقال: أجمعت العلماء على الأخطل، فقال أبو عبيدة لرجل إلى جنبه سله من هم هؤلاء العلماء ؟ فسأله فقال: هم ميمون الأقرن وعنبسة الفيل[9] وابن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثّقفي، هؤلاء طرّقوا الكلام وماثوه موثا لا كمن تحكون تحكون عنهم لا هم بدويّون ولا نحويّون."[10]

---

1 أمين: أحمد. النقد الأدبي. مكتبة النهضة المصريّة. ط 03. 1963. مصر. ص 434

2 عيسى بن عمر: عالم بالعربيّة والنحو والقراءة، ثقة، ينسب إليه كتابان في النحو هما الجامع والإكمال. توفي عام 149 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 29 . 30. السيرافي، أخبار النحويين 31.

3 أبو عمرو بن العلاء: أحد القراء السبعة وعنه أخذ يونس بن حبيب، عالم بالراوية واللغة، وكان ذا شأن كبير. توفي عام 154 هـ انظر ابن الأنباري، نزهة الألبا 33 . 35. السيرافي، أخبار النحويين 22.

4 محمد بن سلاّم الجمحي: أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبد الله، كان من جملة أهل الأدب، تتلمذ على حماد بن سلمة وروى عنه ثعلب والإمام أحمد بن حنبل. من مصنّفاته كتاب في طبقات الشعراء. توفي عام 232 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 125.

5 الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق د عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 02. 1990. 07 / 398.

6 السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تح فؤاد علي منصور. دار الكتب العلميّة. بيروت. ط -1. 1998. 02 / 408.

7 أبو عبيدة: معمر بن المثنى، من أعلم النّاس بأيّام العرب وأنسابهم، وهو كذلك عالم بالشعر والغريب، عاصر الأصمعي وكانا يتقارصان كثيرا ويقع كل واحد منهما في صاحبه. توفي عام 208 أو 209. انظر ابن الأنباري، نزهة الألبا 85. السيرافي، أخبار النحويين 54.

8 يونس بن حبيب: من أكابر النحويّين البصريّين، أخذ العلم عن أبي عمرو وسمع عن العرب، وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفرّاء وغيرهم. توفي عام 183 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 47. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين 51. السيرافي، أخبار النحويين 27.

9 عنبسة بن معدان: من أهل ميسان، تتلمذ على أبي الأسود، تعلّم النّحو وروى الشعر، من تلامذته ميمون الأقرن وعبد الله بن أبي إسحاق. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 22. السيرافي، أخبار النحويين 18.

10 ياقوت. معجم الأدباء. 06 / 2738.

كان ابن أبي إسحاق من تلامذة عنبسة بن معدان، وكان عنبسة من تلامذة أبي الأسود الدّؤلي[1] واضع النّحو، وكان يقال: عبد الله أعلم أهل البصرة وأعقلهم، وفرّع النّحو وقاسه. تتلمذ على يديه كثير من الأعلام كعيسى بن عمر الثّقفي ويونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء والأخفش.[2]

ناظر بعض معاصريه فغلبهم، وأقرّوا له بالغلبة والتفوّق، فهذا بلال بن أبي بردة، عامل البصرة، يجمع بينه وبين أبي عمرو بن العلاء فيغلبه، فيقول أبو عمرو: " غلبني ابن أبي إسحاق بالهمز، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه."[3] وفي رواية أخرى يقول: " ما ناظرني أحد إلاّ غلبته وقطعته، إلاّ ابن أبي إسحاق، فإنّه ناظرني في مجلس بلال بن أبي بردة في الهمز فقطعني، فجعلت إقبالي على الهمز حتّى ما كنت دونه."[4]

كان ابن أبي إسحاق مع سعة علمه وبعد نظره ثقة،[5] مكبِرا العلم والعلماء، ولعلّ تشدّده مع الفرزدق وتنقّصه له في الكثير من من المواطن والمواقف، وتعرّضه لشعره بالنّقد اللاّذع، انتصار منه لأستاذه عنبسة بن معدان، وكان الفرزدق قد هجاه لأنّه كان يتتبّع شعره ويخطّئه ويلحنّه.[6]

فتتبّع ابن أبي إسحاق لأخطاء الفرزدق في شعره لم يكن بغرض تحليل هذا الشّعر وتذوّقه، أو للكشف عن مواطن الجمال فيه، أو اتخاذه شاهدا لاستنباط قواعد النّحو، بل كان بهدف انتقاص الشاعر والاستخفاف به لمخالفته بعض قواعد اللّغة في شعره من جهة، ولتطاوله على معاصريه، علماء وشعراء، من جهة ثانيّة، وهو ما يبيّن أنّ الشعر كان ميدانا للصّراع تستّر وراءه الكثير في خصوماتهم الشخصيّة.

---

[1] أبو الأسود الدّؤلي: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل، أوّل من أسّس العربيّة، ونهج سبلها ووضع قياسها، وذلك حين اضطرب كلام العرب وصار سراة النّاس ووجوههم يلحنون، وكان عمله نواة علم النّحو من بعده، وهو كذلك أوّل نقط المصاحف. توفي عام 89 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 18. الزّبيدي، طبقات النحويّين 21.

[2] البغدادي: عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 04. 1997. 1 / 237. والأخفش هو عبد الحميد بن عبد المجيد المعروف بالأخفش الكبير، من متقدّمي النحاة الذين عاصروا ابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وغيرهم، مات ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته، ذكره الزبيدي في الطبقة الرابعة من طبقات النحويين البصريين. انظر الزبيدي، طبقات النحويين 40. أبو الطيّب اللغوي، مراتب النحويين23. وابن الأنباري، نزهة الألباء 44.

[3] ابن الأنباري: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق د إبراهيم السّامرّائي. مكتبة المنار. الزرقاء. الأردن. ط 03. 1985. ص 26.

[4] الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق. مجالس العلماء. تح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 03. 1999. ص 66.

[5] قال ابن حجر: " ذكره ابن حبّان في الثّقات." انظر: تهذيب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق إبراهيم الزّيبق وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة.د ت. 02 / 303.

[6] الشريف المرتضى: علي بن الحسين. غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالي المرتضى. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 02. 1967. 01 / 62.

لكنّ ابن أبي إسحاق لم يكتف بنقد الفرزدق وتبيين ما وقع فيه من مخالفات لحدود اللغة وقواعدها، بل تجاوز هذا الموقف، فأصلح للشاعر ما كان يراه معيبا أو خطأ أو مخالفا لقياس اللغة من وجهة نظره، وأرجعه إلى ما رأى أنّه يوافق قواعد اللغة ويساير أقيستها، وهو ما سيتّضح لنا من خلال ما سنتطرّق إليها في البحث.

مع الفرزدق

الفرزدق[1] شاعر مطبوع، وهو معدود في الطّبقة الأولى من الشعراء الإسلاميّين، ومحلّه في الشّعر أكبر من أن يُنبّه عليه بقول أو يُدلّ على مكانه بوصف، لأنّ الخاصّ والعامّ يعرفانه بالإسم ويعلمان تقدّمه بالخبر الشّائع، عِلْما يُسْتَغْنَى به عن الإطالة في الوصف،[2] قال يونس: " لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب."[3] وفي رواية أخرى: " لولا الفرزدق لذهب شعر العرب."[4] وأثنى عليه أبو عمرو فقال: " لم أر بدويّا أقام في الحضر إلاّ فسد لسانه، غير رؤبة والفرزدق."[5]

كان لـ " تقدّمه في الشّعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العليا، والغاية القصوى [ولكونه] شريف الآباء كريم البيت، له ولآبائه مآثر لا تدفع، ومفاخر لا تجحد "[6] السبب في اعتداده البالغ بنفسه وشعره، وتعاليه على غيره، حتّى بوّأ نفسه منزلة لا يحقّ لأحد معها معها مراجعته في كلام.

لقد ولّدت هذه العوامل عنده جرأة واعتدادا بالنّفس، جعلته مرهوب الجانب، يخشى لسانه كلّ من يصادفه، وكان يعرف ذلك من النّاس، يذكر أنّه شهد عند بعض القضاة شهادة فقال له القاضي: قد أجزنا شهادتك، ثم قال لأصحاب القضيّة: زيدونا في الشّهود. فقيل له حين انفصل عن المجلس: إنّه لم يجز شهادتك، فقال: وما يمنعه من ذلك، وقد قذفت ألف محصنة ؟[7]

---

1 الفرزدق: أبو الفوارس همام بن غالب بن صعصعة، شاعر أموي شهير، ومعدود في الطبقة الأولى من شعراء الإسلام. توفي عام 110 هـ. له أخبار كثيرة في أغالبية كتب الأدب والتراجم. انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء. ص 345. ياقوت الحموي، معجم الأدباء 06 / 2785.

2 ياقوت. معجم أدباء. 06 / 2786.

3 نفسه. 06 / 2786.

4 الخزانة. 01 / 220.

5 نفسه. 01 / 220.

6 الشريف المرتضى. غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالي المرتضى. 01 / 353.

7 ابن خلكان: أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس شمس الدين. وفيات الأعيان. تح إحسان عباس. دار صادر. بيروت. د ت. 06 / 90.

كان، على اعتداده بنفسه، سريع البديهة، يأبى أن يتطاول عليه أحد وإن كان مازحا، لذلك نجده يغلظ القول لخالد بن صفوان[1] حين مازحه يوما قائلا: " يا أبا فراس ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهن. قال: ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت الفتاة فيه لأبيها: يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين."[2]

ومرّ به عنبسة بن معدان على باب بلال وقد غلبه النّعاس، فحرّكه برجله ومازحه بالقول: " بلغت النّار يا أبا فراس ؟ فأجابه: نعم ورأيت أباك ينتظرك ؟"[3]

وروى أبو عمرو بن العلاء عن هشام العنزي أنّه قال: " جمعني والفرزدق مجلس، فتجاهلت عليه فقلت: من أنت ؟ قال: أما تعرفني ؟ قلت: لا. قال: فأنا أبو فراس. قلت: ومن أبو فراس ؟ قال: أنا الفرزدق. قلت: ومن الفرزدق ؟ قال: أو ما تعرف الفرزدق ؟ قلت: أعرف الفرزدق أنّه شيء تتّخذه النساء عندنا بالمدينة تتسمّن به، وهو الفتوت. فضحك وقال: الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم."[4]

وقد جعله هذا التّعالي هدفا للجميع، فما يمسك عليه أحد سقطة، حتّى يشهّر به ويذيعها عنه في الآفاق، فوقع بذلك في كثير من المواقف المحرجة، من ذلك أنّه كان يوما ينشد شعره فمرّ به الكميت بن زيد فقال له: كيف ترى شعري ؟ فقال الكميت: حسن بسن، فقال له الفرزدق: أيسرّك أنّي أبوك ؟ فقال: أمّا أبي فلا أريد به بدلا، ولكن يسرّني لو كنت أمّي. فقال له الفرزدق: اكتم هذه على عمّك يا ابن أخي فما مرّ بي مثلها.[5] وقال أبوعبيدة: كان في مقبرة بني حِصْن مكاري يقال له: باب، يحمل النّساء على حمار له، وكانت به عُجْمَة، فمرّ به الفرزدق ومعه ابنه لَبَطَة، فقال له: يا باب، كم علا ظهر هذا الحمار من كعثب نفيس. فقال له: نعم يا مولاي، ما زالت النَّوار تركبه. فقال لَبَطةُ لأبيه: عرّضتنا لهذا العلج يا أَبَهْ.[6]

---

1 قال الذّهبي في سير أعلام النبلاء: " خالد بن صفوان بن الأهتم، العلاّمة البليغ، فصيح زمانه ... وقد وفد على عمر بن عبد العزيز، ولم أفر له بوفاة." 06 / 226. قال الجاحظ في البيان والتبيين: " وما علمت أنّه كان في الخطباء أحد كان أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة، للذي يحفظه النّاس ويدور على ألسنتهم من كلامهما وما أنّ أحدا ولّد لهما حرفا واحدا." 01 / 318. طبعة هارون.

2 ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدّينوري. الشعر والشّعراء. تح عمر الطبّاع. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. ط 01. 1997. ص 348. قلت: واقتباس خالد من قوله تعالى في سورة يوسف: " فلمّا سمعت بمكرهنّ أرسلت إليهنّ أعتدت لهنّ متّكأ وآتت كلّ واحدة منهنّ سكّينا وقالت اخرج عليهنّ فلمّا رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهنّ وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلاّ ملك كريم." 31 أمّا اقتباس الفرزدق فمن قوله تعالى في سورة القصص:" قالت إحداهما يا أبت استأجره إنّ خير من استأجرت القويّ الأمين." 26.

3 نفسه. ص 348.

4 خزانة الأدب. 01 / 219.

5 الشريف المرتضى. السابق. 01 / 296 . 297. والخبر في الأغاني لأصفهاني. ط دار المعارف. 23 / 16.

6 ابن المزرّع: يموت، أبو بكر العبدي. كتاب الأمالي. تحقيق إبراهيم صالح. دار البشائر. دمشق. ط 01. 2001. ص 37 . 38. وجاء في محاضرات الرّاغب أن الفرزدق مرّ بباب المكاري فقال:

وكم من هَنٍ يا بابُ ضخم حملته على الرَّحْلِ فوق الأخدري المراكب

لم يخالف الفرزدق قواعد اللغة في بعض شعره لعجز، بل كان ولعا منه بالإعراب المشكل المحوج إلى التّقديرات العسيرة، لذلك يذكر عنه أنّه غضب على من راجعه في مسألة وقال له: " عليّ أن أقول وعليكم أن تحتجّوا."[1]

فهذا التّعالي كان السبب في تحامل النّاس عليه ومعاداتهم له، وسعيهم إلى كسر شوكته، قال أبو حاتم:[2] " ليس الفرزدق أهلا لأن يستشهد بشعره على كتاب الله، لما فيه من التّعجرف."[3] ونقل البغدادي عن ابن الخشّاب[4] قوله: " لم يجر في سَنَن الفرزدق من تعجرفه في شعره بالتّقديم والتّأخير المخلّ بمعانيه، والتّقدير المشكل، إلاّ المتنبّي"[5]

إنّ النّقد بهذا المنظور هو حامي حمى اللغة، يشدّد الرّقابة على من يتكلّمها، ويقف موقفا صارما إزاء أيّ خروج عن نظامها، ولا يتوانى عن رمي من يخطيء فيها بالجهل والغفلة، وقد يجعله موضع هزء وسخريّة.

شعر الفرزدق على سفود ابن أبي إسحاق

كان الفرزدق ممن عُرِفوا بسعيهم وراء إقامة علاقات غير معهودة بين ألفاظ العربيّة، وإن كان فيه ابتعاد عمّا ألفه النّاس، فجرّ ذلك عليه نقدا لاذعا ممّن كانوا لا يبيحون للشعراء مثل هذا الأمر، ويطالبونهم بالسّير على سنن ما عُرف عن العرب.

وللأسباب التي سبق لنا ذكرها فأقذع تجريح وأشدّه لقيه كان من ابن أبي إسحاق، ذكر الأصمعي أنّ الفرزدق حضر يوما مجلسا لعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي فقال له: " كيف تنشد هذا البيت:[6]

وَعَيْنَانِ قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولاَنِ بِالأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الخَمْرُ

فقال الفرزدق: كذا أنشده، [أي أنشده فعولان] فقال [له] ابن أبي إسحاق الحضرمي: ما كان عليك لو قلت فعولين ؟ فقال الفرزدق: لو شئت أن أسبّح لسبّحت ونهض فلم يعرف أحد في المجلس قوله: لو شئت أن أسبّح لسبّحت. فقال ابن أبي إسحاق: لو قال: فعولين لأخبر أنّ الله خلقهما وأمرهما، ولكنّه أراد هما يفعلان بالألباب ما تفعل الخمر."[7]

فقال باب: قد حملت النوّار فيمن حملت. فقال الفرزدق: غلبني والله. انظر محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.01 / 395. كما أشار الشريف المرتضى في أماليه إلى هذا الخبر وقال: وللفرزدق خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه. انظر أمالي المرتضى. 01 / 169.

1 ابن قتيبة. السابق. ص 41. قلت: لم يصرّح ابن قتيبة باسم السائل وسنرى لاحقا أنّ قريبا من هذا الكلام قاله عن ابن أبي إسحاق حين بلغه تلحينه له.

2 أبو حاتم السّجستاني: سهل بن محمد، كان عالما ثقة قيّما بعلم العربيّة والشعر، تتلمذ على أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي، وعنه أخذ ابن دريد. له مصنّفات كثيرة في اللغة والنحو والقراءة. توفي عام 250 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 145. السيرافي، أخبار النحويين70.

3 خزانة الأدب للبغدادي. 05 / 146.

4 أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب، أديب وعالم فاضل، له معرفة جيّدة بالنحو واللغة والعربية والشعر والفرائض والحساب والحديث، حافظ لكتاب الله ، قرأه بالقراءات الكثيرة. توفي عام 567 هـ. انظر القفطي، إنباه الرواة 02 / 99.

5 الخزانة. 05 / 146.

6 البيت لذي الرمّة. انظر الديوان بشرح الخطيب التبريزي. دراسة مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 02. 1996. ص 209.

7 الزجاجي . مجالس العلماء. ص 66.

كان هذا التصرّف من الفرزدق سقطة مكّن بها ابن أبي إسحاق منه، وكان حريّا به ألاّ يفتح عليه بابا يستعصى عليه غلقه، ويسلّ صارما يستعصى عليه ردّه إلى غمده، بل كان بإمكانه، والبيت ليس من نظمه، أن يرجع باللائمة على الرّواية، خاصة وأنّ العلماء اختلفوا فيه بين قائل بـ " فعولين " أو " فعولان."

فالأصمعي يقول بـ " فعولان " وجعلها صفة للعينين، وجعل " كانتا " مكتفيا لا تحتاج إلى فعل، فهي كقولك تمدح الشّيء: قال الله: كن فكان. أمّا ابن الأعرابي فيقول بـ " فعولين " ونصبها على فعل كانتا، أي فكانتا فعولين.[1]

وجاء في شرح الخطيب التّبريزي[2] لديوان ذي الرمّة عند شرحه لهذا البيت: " قال الأصمعي: فعولين بالألباب، فقال له إسحاق بن سويد: ألا قلت: فعولان، فقال: لو شئت سبّحت."[3]

فتحت هذه الحدّة في طبع الفرزدق عليه باب النقد من كلّ الجهات، وصار عبد الله بن أبي إسحاق يترصّده، ويبالغ في ذلك حتّى آل الأمر إلى إعناته في شعره. حضر الفرزدق يوما مجلسا آخر من مجالس ابن أبي إسحاق فلمّا قال:[4]

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاّ مُسْحَتا أَوْ مُجَلَّفُ

قال له: بم رفعت أو مجلّف ؟ فقال له: بما يسوءك وينوءك، علينا أن نقول وعليكم أن تتأوّلوا.[5]

وفي هذا الجواب جرأة وعنهجيّة من الفرزدق لا نجدها إلاّ عنده، لذلك راح يحاور ابن أبي إسحاق ويشاكسه، ويطالبه بتأويل كلامه، لأن من حقّه، وهو العربيّ القحّ، أن يقول ما يشاء، ومن أراد العربيّة وسعى وراءها وجدها عند العرب وفي كلامهم، وعلى من ينظّر ويضع القواعد أن يتأوّل الكلام.

وإذا كان لعلماء العربيّة حديث طويل عن هذا البيت، قال البغدادي: " وهذا البيت صعب الإعراب، قال الزّمخشري: هذا بيت لا تزال الرُّكب تصطكّ في تسويّة إعرابه."[6] وهذا ابن أبي إسحاق مع تتبّعه للفرزدق وتضييقه الخناق عليه، نقل عنه يونس قوله: للرّفع وجه، وكان أبو عمرو ويونس لا يعرفان للرّفع وجها،[7] وقال ابن قتيبة:[8] " رفع [الفرزدق] آخر البيت ضرورة، وأتعب

---

1 نفسه. ص 66..

2 الخطيب التّبريزي: أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام، أحد أئمّة اللغة والنّحو، تتلمذ على أبي العلاء المعرّي وأبي القاسم عبيد الله بن علي الرقي وأبي محمد الدهّان اللغوي. له مصنّفات كثيرة. توفي عام 502 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 270.

3 ديوان ذي الرمّة. شرح الخطيب التبريزي. ص 209.

4 القرشي: محمد بن أبي الخطاب، أبو زيد. جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام. تح علي محمد البجاوي. نهضة مصر. ص 699. والبيت في ديوان الشاعر فيه مجرّف بدلا من مجلّف. ص 386.

5 ابن الأنباري. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ص 27. وخزانة الأدب للبغدادي. 05 / 145.

6 خزانة الأدب للبغدادي. 05 / 145.

7 نفسه. 05 / 144.

8 ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، كان فاضلا في اللغة والنحو والشعر، له مصنّفات عديدة في العلوم والمعارف. توفي عام 276 هـ. انظر ابن الأنباري، نزهة الألباء 159.

وأتعب أهل الإعراب في طلب العلّة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا به من العلل احتيال وتمويه."[1] ففي التّفصيل الذي نقله البغدادي في الخزانة عن علماء العربيّة، فسحة للفرزدق للخروج من الورطة التي وقع فيها، لكنه فرّ من المداراة إلى العناد فوقع.

كشف جواب الفرزدق عن حدّة في طبعه، حدّة إن استثيرت أوصلته إلى الحمق، وهذا ما تنبّه له غريمه، الذي لم تكن تعنيه الإهانات التي يكيلها له الفرزدق، فطعنه طعنات قاتلة، وأفحمه فلم يتمكّن من الرد، لذلك أجاب إجابة اليائس المستسلم " علينا أن نقول وعليكم أن تتأوّلوا "، وكأنّي بالشاعر يتضرّع لابن أبي إسحاق ويعاتبه لأنّه لم يلتمس له الأعذار، ولم يؤوّل كلامه التّأويل الذي يخرجه من عنق الزّجاجة.

يظهر ما ذكرناه آنفا في مجلس آخر من مجالس عبد الله، عندما نجد الفرزدق، وهو الشاعر العظيم، يسقط صريعا عندما يخرجه النقد الذي وجّهه الرجل لشعره عن حدود الأدب فيفحش له القول ويهجوه، لكن ابن أبي إسحاق، وقد أخذ بخناق الرّجل لم يلتفت إلى قوله بل واصل إعناته وبالغ فيه، لذلك لما قال الفرزدق:[2]

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنَا بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ
عَلَى عَمَائِمِنَا تُلْقِي، وَأَرْحُلُنَا عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّهَا رِيرِ

قال له عبد الله: إنّما هو ريرُ بالرّفع، وإن رفع أقوى.[3] فوجد عليه الفرزدق وقال: أما وجد هذا المنتفخ ... لبيتي مخرجا في العربيّة ؟ ؟ أما إنّي لو أشاء لقلت:[4]

عَلَى عَمَائِمِنَا تُلْقِي، وَأَرْحُلُنَا عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ

ولكنّي والله لا أقوله، ثم هجاه قائلا:[5]

وَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

وهو موقف، كما نرى، يكشف عن حنق الشاعر وحقده على منتقده، لكن ابن أبي إسحاق لما بلغه هذا الهجاء قال: عذره شرّ من ذنبه، فقد أخطأ أيضا، والصّواب مولى موال."[6] وفي رواية أخرى: " أردت أن تهجوني فلحنت أيضا."[7]

---

[1] ابن قتيبة. الشعر والشّعراء. ص 41. كذا في الشعر والشعراء وفيه غموض، ولعلّ المعنى ما ما ذكره البغدادي في الخزانة: " وقال ابن قتيبة: رفع الفرزدق آخر البيت ضرورة، وأتعب أهل الإعراب في طلب الحيلة، فقالوا وأكثروا ولم يأتوا فيه بشيء يرتضى. ومن ذا يخفى عليه من أهل النّظر أنّ كلّ ما أتوا به احتيال وتمويه." الخزانة 05 / 144:

[2] ديوان الفرزق. ضبط علي فاعور. دار الكتب العلميّة. بيروت. ط 01. 1987. ص 190. البيتان من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك وهجاء يزيد بن المهلب، وعجز البيت الثاني: ..... على زواحف نزجيها محاسير.

[3] في الخزانة. 01 / 238: " فقال له ابن إبي إسحاق: أسأت، موضعها رفع، وإن رفعت أقويت."

[4] البيت في الديوان. ص 190.

[5] في الخزانة. 01 / 239. أنّ عبد الله بن أبي إسحاق قال عندما بلغه ما قال الفرزدق: " عذره شرّ من ذنبه، والخفض في رير جيّد وتقديره على زواحف ريرٍ مخّها تزجى."

[6] ابن الأنباري. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. ص 27.

[7] خزانة الأدب. 05 / 145.

ومن هنا نرى أنّ ابن أبي إسحق، لم ينكر على الفرزدق هجاءه أكثر مما أنكر عليه نصبه لكلمة " مواليا " في آخر البيت و التي كان من المفروض أن تكون مجرورة. وهو جواب يظهر استخفافه به وتحدّيه له.

كان هذا الهجاء من الفرزق لابن أبي إسحاق، لكونه مواليا لآل الحضرمي، وكانوا بدورهم حلفاء بني عبد شمس.[1] فعيرّه بذلك ووصفه بالذّل والهوان، والعرب ترى في موالاة الحليف مهانة ومذلّة، ومن ثمّ فالفرزدق يريد القول بانّه لو كان عبد الله ذليلا فحسب لهجاه، لكنّه يربأ بنفسه عن هجائه لأنّه أذلّ من الذّليل بمحالفته لمحالفين.

لم يتوقّف الصّراع بين الرّجلين عند هذا الحدّ، أي الاختلاف حول مسألة لغويّة بحتة بل جعل منه المستشرق الألماني يوهان فك صراعا مذهبيّا، فبعدما تعرّض لابن أبي إسحاق قال: " وقديما رُوِي عن ابن أبي إسحاق الحضرمي القارئ أنّه وجّه إلى الفرزدق نقدا واهيا، وقد حملته دراسته للقرآن على الاشتغال بأمور اللغة ... وكان، فوق ذلك، مولعا، لكونه من الموالي، بالعثور على شيء في لغة البدو يتناوله بالنّقد والتّصحيح. ولما وقع الفرزدق في الإقواء الذي لم تسلم منه لغة الجاهليّين أنفسهم، حيث ضمَّ القافية بدلا من كسرها في هذا البيت:

عَلَى عَمَائِمِنَا تُلْقِي، وَأَرْحُلُنَا عَلَى زَوَاحِفَ تُزْجَى مُخُّهَا رِيرِ

أي ذائب، تعامى ابن أبي إسحاق، عمدا، عن هذا الإقواء، ورواه كما لو أنّ الفرزدق قال: ريرِ بالكسر، وأنّه خالف بذلك قواعد العربيّة، ولهذا غيّر الفرزدق قافية البيت إلى:

عَلَى زَوَاحِفَ نُزْجِيهَا مَحَاسِيرِ

وقد روي البيت على هذه الصّورة الصّحيحة في الديوان."[2]

وبمقابلة ما قاله يوهان فك بما قاله ابن إسحاق عن شعر الفرزدق، يظهر بوضوح تحامله على ابن أبي إسحاق بغير حقّ، فابن أبي إسحاق بنى حكمه على قواعد وأسس دقيقة من وجهة نظر النّحو.

لم يكن ابن أبي إسحاق متعصّبا لجنس أو قبيلة أو للموالي كمّا لمح إلى ذلك فك، بل كان متعصّبا للحقيقة العلميّة دون غيرها وما تركيزه على الفرزدق إلاّ للأسباب التي ذكرتها سابقا من جهة، ولكون الخطأ كان أبين وأكثر شيوعا في شعر الفرزدق دون معاصريه كجرير والأخطل.

خاتمة

وختاما فإنّ ممّا يجب تأكيده هاهنا هو أنّ آراء ابن أبي إسحاق حول شعر الفرزدق على رصانتها ودقّتها، لم تكن تمثل نظرية متماسكة ومنتظمة، لآنّ أغلب ما أورده من ملاحظات يتصل بآرائه حول قضايا النّحو واللّغة، وقد سبقنا الجاحظ [ت 255 هـ] إلى ملاحظة أنّ نقاد المدرسة القديمة، والتي هي مدرسة الرواة واللغويين والنحويين ومنهم ابن أبي إسحاق، كان النحويين

[1] الصفدي. الوافي بالوفيات. 17 / 38.

[2] فك: يوهان. العربيّة. ترجمة رمضان عبد التوّاب. ص 55 . 56.

فيها لا يهتمون إلا بالشعر الذي فيه شاهد نحوي، ولا يعجب الرواة إلاّ بكل شعر فيه الغريب والمعاني الخفية التي تحتاج إلى شرح وتوضيح، كما أن الإخباريين لا يبحثون إلا عن الشعر الذي فيه الشاهد والدليل.[1]

كما أنّ نقد ابن أبي إسحاق لشعر الفرزدق لم يتكز على اللغة فحسب، بل تخطّاه في بعض الأحيان ليتحوّل إلى انطباعات ذاتيّة، إذ لم ينطلق فيه من النظر إلى سياق الكلام، بل نراه يحتكم إلى القياس في تعليل الظواهر ٱللغوية، إذ لا يجوز، عنده، للشاعر مهما كانت منزلته من الفصاحة أن يخرج عليها. ومن هنا فتخطئته للفرزدق، وهو المعدود في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين، دليل على اعتماد الناقد القاعدة لا الذّوق، ويرحم الله المظفر بن الفضل العلوي [ت 656 هـ] إذ يقول: " وينبغي للشاعر أَلاّ يعادي أهل العلم، ولا يتّخذهم خصوما فإنّهم قادرون على أن يجعلوا إحسانه إساءة، وبلاغته عيّا، وفصاحته حصْرا، ويحيلوا معناه، وينتقضوا ما بناه، فكم من أديب أسقط أهل العلم حكم أدبه، وأخملوا من ذكره ما تنبّل به، ولو عددناهم لأفردنا لهم كتابا، ولله عمّار الكلبي حيث يقول:

ماذا لقيت من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرا يكون بها بيتٌ خِلافَ الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنت وهذا ليس منتصبا وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من حمق وبين زيد فطال الضّرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كلّ قولي مشروحا لكم فخذوا ما تعرفون وما لم تعرفو ا فدعوا
لأنّ أرضي أرض لا تشبّ بها نار المجوس ولا تبنى بها البِيَع

ولعلّ أهل العلم يأتون إلى المعاني المستحيلة والألفاظ المختلّة، فيقوّمون أَوَدَها بعللهم، ويصلحون فاسدها بمعرفتهم، ومن هذ سبيله فما يحسُنُ أن يُغضبَ ولا يُقشَبَ، فرُبَّ داهيّة وقع على من هو أدهى منه."[2]

لذلك فنقد ابن أبي إسحاق للفرزدق، وسخريّته منه، وشدّته عليه، إنّما كان صادرا عن ذوق ومزاج خاصّ، وأثبت الواقع أنّ الخصومات الناتجة عن اختلاف الأذواق كانت دوما من أعنف ما عرفه الأدب، وشهده الفكر، وليس من السّهل التّحكّم فيها أو إنهاؤها، وهو ما أظهرته هذه الخصومة بين الرّجلين.

قائمة المصادر والمراجع:

* ابن الأنباري: كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحيق د إبراهيم

[1] الجاحظ: عمرو بن بحر، أبو عثمان. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 07. 1998. 04 / 24.

[2] العلوي: المظفّر بن الفضل. نضرة الإغرض في نصرة القريض. تحقيق د. نهى عارف الحسن.مطبوعات مجمع اللغة العربية. دمشق. د ت. ص 453 . 455.

السّامرّائي. مكتبة المنار. الزرقاء. الأردن. ط 03. 1985.
* البغدادي: عبد القادر بن عمر. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 04. 1997.
* الجاحظ: عمرو بن بحر، أبو عثمان. البيان والتبيين. تح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة ط 07. 1998. 04 / 24.
* الحموي: ياقوت الرومي. معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تح د إحسان عبّاس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط 01. 1993.
* الراغب الاصفهاني: حسين بن محمد، أبو محمد. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.
* الزبيدي: محمد بن الحسن، أبو بكر الأندلسي. طبقات النحويين واللغويين. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. مصر. ط 02.
* الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق. مجالس العلماء. تح عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 03. 1999.
* ديوان ذي الرمّة. شرح الخطيب التبريزي. دراسة مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 02. 1996.
* ديوان الفرزدق. ضبط علي فاعور. دار الكتب العلميّة. بيروت. ط 01. 1987.
* الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، شمس الدين. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق د عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 02. 1990.
* السيرافي: الحسن بن عبد الله، أبو سعيد. أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض. تحقيق محمد إبراهيم البنّا. دار الإعتصام. ط 01. 1985.
* الشريف المرتضى: علي بن الحسين. غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بأمالي المرتضى. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 02. 1967.
* الصفدي: صلاح الدّين خليل بن أيبك. كتاب الوافي بالوفيات. تح أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط 01. 2000.
* العسكري: الحسن بن عبد الله، أبو أحمد. المصون في الأدب. تح عبد السلام هارون. مطبعة حكومة الكويت. ط 02. 1984.
* العلوي: المظفّر بن الفضل. نضرة الإغرض في نصرة القريض.تح نهى عارف الحسن.مطبوعات مجمع اللغة العربية.دمشق. دت.
* فك: يوهان. العربيّة دراسات في اللغة واللّهجات والأساليب. ترجمة رمضان عبد التوّاب. مكتبة الخانجي. مصر. 1980.
* ابن قتيبة: أبي محمد عبد الله بن مسلم الدّينوري. الشعر والشعراء. تح د عمر الطبّاع. دار االأرقم. بيروت. ط 01. 1997.
* القرشي: محمد بن أبي الخطاب، أبو زيد. جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام. تحقيق علي محمد البجاوي. نهضة مصر.

* ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن أحمد، جمال الدّين أبو الفضل. لسان العرب. تحقيق جماعة من العلماء منهم عبد الله علي الكبير. دار المعارف.
* اللغوي: عبد الواحد بن علي، أبو الطيّب. مراتب النحويين. تح محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة نهضة مصر.